



تاريخ الاستلام: 2024/06/02 تاريخ القبول: 2024/10/17

الملخص:

بذل الجيش الزياني جهوداً مضنيةً من أجل حماية حدود بلاد المغرب الأوسط (الجزائر حالياً) والدفاع عنها خاصة مع بروز أطماع الحفصيين مبكراً الذين استغلوا الظروف الداخلية والخارجية الصعبة التي مرت بها الدولة الزيانية وجيشها ليتوسعوا عبر حدودها الشرقية، وظلت الحدود الجغرافية الممتدة من بجاية شرقاً إلى مليانة غرباً محل صراع طويل بين الجيشين الزياني والحفصي، ولم يكتف الحفصيون بتدخلهم المباشر في النزاع العسكري مع جيرانهم الزيانيين وإنما عملوا على تأليب بعض قبائل المغرب الأوسط ضدهم الأمر الذي عقد مهمة الجيش الزياني في استرداد أجزاء مهمة من مدن المغرب الأوسط.

الكلمات المفتاحية: الزيانيون، الحفصيون، الحدود الجغرافية، مليانة، بجاية، الجزائر.

Abstract:

The Zayani army made strenuous efforts to protect and defend the borders of the Central Maghreb (Algeria) after the fall of the Almohad state and the emergence of the ambitions of the Hafsids, who tried many times to exploit the difficult circumstances that the Zayani state went through to expand across its eastern borders, and the geographical borders extending from Bejaia in the east to Miliana in the west was the site of a long conflict between the Zayani and Hafsid armies. The Hafsids did not content themselves with directly entering their army into the military conflict with their Zayani neighbors, but they worked to gain the loyalty of many of the Central Maghreb tribes and exploit them against the Zabani. This is what complicated the mission of the Zabani army in recovering important parts of the cities. Central Maghreb.

Key words: Zayanids, Hafsids, geographical borders: Miliana, Bejaia, Algiers.

دفاع الجيش الزياني عن الحدود الشرقية لبلاط المغرب الأوسط (636-737 هـ / 1238 م - 1337 م)

Al-Zayani Army's defense of the eastern borders of the Central Maghreb (636-737 AH / 1238 - 1337AD)

حسام صلاح / باحث بالمركز الوطني
للدراسات والبحث في التاريخ
العسكري الجزائري

(الجزائر)

historiensehahi@gmail.com

المؤلف المرسل:، الإيميل:



مقدِّمة

تنافست الدَّويلات المنبثقة عن الخلافة الموحدية كالحفصيين والمرينيين على حدود ومدن بلاد المغرب الأوسط الزيانية، ونظرا لمكانة وأهمية الموقع الجغرافي والجيو سياسي لهذا الإقليم، فإنَّ هذه المناطق ظلَّت خاضعة للحكم الزَّيَّاني تارة ولحكم بعض القبائل المحلية والقوى المغاربية بين الفينة والأخرى، مستغلين في ذلك الأوضاع الصَّعبة الَّتِي مرَّ بها الجيش الزَّيَّاني الَّذِي قاوم في عدَّة جهات، إلَّا أنَّ الحدود الشرقيَّة لهذه الدَّولة ظلَّت مضطربة فكانت تفقد العديد من مدنها وحدودها الشرقيَّة لصالح الحفصيين، وعند استقرارها واسترجاع قوتها فكانت تسترجع العديد من مدنها ومواقعها الشرقيَّة، ومن أبرز المدن الزيانية الَّتِي ظلَّت بين مدِّ وجزرٍ تُوجد: الشَّلف، مليانة، الجزائر، بجاية، ومما زاد من حدَّة التنافس على هذه المدن أنها اعتبرت في بعض الفترات كحدِّ فاصلٍ بين المغربين الأدنى والأوسط، وبضعف الدَّولة الزيانية أصبحت هذه الحواضر السَّالفة الذِّكر كحدِّ فاصلٍ بين الدَّولتين الحفصية والمرينية، وبذلك، عُدَّت هذه الحواضر آخر بلاد إفريقية (تونس حاليا).

الدِّراسة الَّتِي بين أيدينا تكتسي أهمية في مجال الدِّراسات التَّاريخية العسكريَّة، فقد تَعَقَّب هذا المقال جهود الجيش الزَّيَّاني في الدِّفاع والمحافظة على الحدود الجغرافية والسَّياسية لبلاد المغرب الأوسط طيلة قرن من الزَّمن لم تعرف فيها الحدود السَّياسية للدَّولة الزيانية استقرارا على الرِّغم من تدخل الجيش الزَّيَّاني في الكثير من المرات، فظلَّت المدن والأقاليم الشرقيَّة للدَّولة الزيانية متقلبة تحت حكم وهيمنة الحفصيين تارة والزَّيَّانيين تارة أخرى.

1) سُقوط دولة الموحدين وتغيير الخريطة السَّياسية المغاربية

ترتَّب عن ضعف ثمَّ سقوط الدَّولة الموحدية (515-668هـ/ 1121-1269م) تحولا كبيرا في الخريطة السَّياسية المغاربية، فقد نجم عن ضعفها قيام ثلاث دول شغلت الإطار الجغرافي لدولة الموحدين من سرت شرقا إلى المحيط غربا، وهي: الدَّولة الحفصية في بلاد إفريقية (تونس حاليا) (625 - 981هـ/ 1228 - 1573م)¹، والدَّولة الزَّيَّانية في بلاد المغرب الأوسط (الجزائر حاليا) (633-962هـ/ 1235-1555م)²، والمرينية في المغرب الأقصى (668 - 869هـ/ 1269 - 1465م)³.

ويرجع نسب الزَّيَّانيين أو بني عبد الواد إلى قبيلة زناتة، وكانت تلمسان قاعدة لدولتهم، فقد دام حكمهم أكثر من ثلاثة قرون، بذل خلالها الجيش الزَّيَّاني مجهودات جبَّارة من أجل الدِّفاع عن الحدود الجغرافية لبلاد



المغرب الأوسط⁴ طوال فترة حكم الزيانيين، خاصة الحدود الشرقية والتي كانت تتقلّص في فترات الضعف ثمّ تتسع في حال القوة⁵.

(2) الحدود الجغرافية لبلاد المغرب الأوسط في العهد الزياني

ظلت الحدود الغربية والشرقية لبلاد المغرب الأوسط غير مستقرة طوال فترة حكم الزيانيين، والتي دامت أكثر من ثلاثة قرون، وعليه سنحاول في هذا المقال الوقوف على مراحل تغير الخريطة السياسية للحدود الشرقية لبلاد المغرب الأوسط.

حدّد ابن خلدون الحدود الطبيعية لبلاد المغرب الأوسط إذ كانت: "قاعدته تلمسان، ومن مدنه الساحلية هنين ووهران والجزائر إلى غاية مدينة بجاية شرقاً، ومن مدنه الداخلية أشير والمسيلة ثمّ الزّاب (بسكرة) وجبال أوراس"⁶.

ومما قيل عن الأوضاع الصّعبة التي كانت تعيشها الدولة الزيانية، ما ورد عن المؤرخ مبارك بن محمد الميلي، قوله: "لم تزل منذ نشأتها (الدولة الزيانية) تصطلي بنار الحروب الداخلية والخارجية، فمن غارة مرينية إلى حرب حفصية، ومن مناهضة مغراوية أو توجينية إلى منافسة زيانية، ومن دسيصة سويدية إلى مشاقة عامرية، ومن نفاق إسباني إلى غلظة تركية، ولا ظلّ في التاريخ العام لدولة صغيرة كهذه منيت بمثل ما منيت به"⁷.

عرفت الحدود الشمالية والجنوبية الزيانية استقراراً ملحوظاً، بينما شهدت الحدود الغربية تقلّصاً بسبب الحملات العسكرية المرينية والتي انتهى كثيراً منها بحصار تلمسان قاعدة الزيانيين، إلّا أنّ الحدود الشرقية لم تعرف استقراراً يُذكر، فأحيانا كانت حدود الدولة الزيانية تمتد شرقاً إلى كلّ من: مليانة والجزائر وبجاية، وبلغت في أقصى اتساع لها إلى تونس، وأحيانا عرفت تقلّصاً شديداً بحيث أصبحت حدود الدولة الزيانية لا تتعدى حدود مدينة تلمسان.

(3) جذور النزاع الحدودي بين الجيشين الزياني والحفصي

استغلّ الحفصيون ضعف الدولة الموحدية فأعلنوا استقلالهم المبكر سنة (625هـ/1228م) فضمّوا مباشرة بعد انفصالهم بونة (عناية حالياً) وقسنطينة وبجاية سنة 628هـ/1230م، ولم يكتفوا بذلك فحسب وإنّما أضافوا إلى دولتهم صبغة الدولة الموحدية إلى درجة أنهم لقبوا دولتهم أحيانا بالدولة الموحدية، وصارت حدود دولتهم تمتد من سيرت الكبرى شرقاً إلى القبائل الكبرى غرباً، ومن مؤشرات استغلال الحفصيين لاستقلالهم المبكر أنهم سارعوا إلى تعيين والي حفصي على كلّ من بجاية وبونة⁸.

ومن المزايا التي حصل عليها الحفصيون من استقلالهم المبكر أنهم ظفروا بالولاء الزياني المريني لدولتهم، ولم تقتصر قوتهم ونفوذهم في الفضاء المغربي فحسب وإنّما وصلت إلى بلاد الأندلس لما وصلت بيعتهم إلى



أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص (625-647هـ/ 1228-1249م) سنة 637هـ/ 1239م⁹، وبإيع أهل الحجاز ابنه ووليَّ عهده المستنصر بالله¹⁰، بعد سقوط عاصمة الخلافة العباسية في المشرق.

أفصح السلطان الحفصي) خلال إبرام معاهدة تجارية مع الجنوبيين سنة 1236م أنَّ مملكته تمتد من طرابلس الغرب إلى أقصى حدود بجاية، وتوقع أن دولته ستضمّ المزيد من المناطق الأخرى لاحقاً¹¹. أي أنه لم يكتفٍ ببجاية كمدينة حدودية بل ستكون له أطماع لضمّ المزيد من المدن لدولته الناشئة يومئذ، الأمر الذي وقع فعلياً. فالحفصيون أرادوا ضمّ كلّ بلاد المغرب إلى هيمنتهم بطريقة مباشرة أو عن طريق التبعية.

سارع الحفصيون مباشرة بعد تأسيس دولتهم إلى ضمّ قسنطينة سنة 628هـ/ 1231م، ومن أسباب حرص الحفصيين على ضمّها أنها المدينة الوحيدة التي لم يحتلها ابن غانية، وقد قدّمت قسنطينة الدّعم للحفصيين إبّان مواجهة الحملة الصّليبية الثامنة ضدّ تونس، والتي وقعت سنة 1270م¹².

لم يكتفِ الجيش الحفصي بضمّ قسنطينة فحسب، فقبيل تأسيس الدّولة الزَّيَّانية سارعوا إلى ضمّ مدينة الجزائر والشّلف والبطحاء وسائر مواطن مغراوة وتوجين، فقد تمّ كلّ ذلك خلال سنة 632هـ/ 1235م، ثمّ وصلت البيعة للسلطان الحفصي من الأندلس الشَّرقية سنة 635هـ/ 1237هـ وبلغت الدّولة الحفصية أوج قوتها وتوسّعها لما وصلت إليهم بيعة بني مرين لهم لما فتحوا مراكش سنة 668هـ/ 1270م، إلّا أنّ الجيش الحفصي لم يستطع الحفاظ على كلّ هذا الحيز الجغرافي الذي كاد أن يرث ما كانت تحوزه الدّولة الموحدية إبّان أوج قوتها، فقوتهم العسكرية لم تسمح لهم بالحفاظ على كلّ تلك الأقطار خاصّة البعيدة عنهم، فانفصل عنهم الزيانيون ثمّ المرينيون، وظلّت تونس عاصمتهم¹³.

دلّ على مكانة وأهمية قسنطينة عند الحفصيين أنه لما توفي أبو زكرياء سنة 647هـ/ 1249م في بونة نُقلت جثمانه ودفن بقسنطينة سنة 666هـ/ 1268م¹⁴. عوض أن يُورى الثرى في الموطن الأصلي للحفصيين.

استولى الحفصيون مبكراً على بجاية، فعلى الرّغم من أنّ بعض المؤرخين ينسبونها إلى المغرب الأدنى، فقد كانت عاصمة الدّولة الحمادية، وفي تلك الفترة كانت يُطلق عليها: "مدينة بجاية قاعدة الحكم في المغرب الأوسط"¹⁵، ومما يدلّ على أنّ قسنطينة من بلاد المغرب الأوسط ما ورد عن القلقشندي قوله "وبويع بعده ابنه المستنصر بالله (أبو عبد الله محمد) ... واستولى على ما كان بيد أبيه من الغرب الأوسط ببجاية وقسنطينة"¹⁶. فهذا النص يدلّ على أنّ مدينتي بجاية وقسنطينة كانتا من بلاد المغرب الأوسط وليس من حواضر المغرب الأدنى.

خضعت كلّ من مدينة الجزائر ومنطقة متيجة ومليانة والشّلف للحفصيين سنة 632هـ/ 1235م، ورفض زعماء بعض هذه المدن الانصياع للحفصيين في بعض الأحيان، بل وتمردوا ضدّهم كلّما سنحت لهم الفرصة



بذلك¹⁷، واعتبرت مدينة مليانة في العديد من الفترات من أكثر المدن تقلبا بين حكم الحفصيين تارة والزيانيين تارة أخرى، وأحيانا تستقل عنهما معا¹⁸. وأحيانا أخرى تتبع للمرينيين¹⁹.

عجز الجيش الحفصي الاحتفاظ بمليانة لفترة طويلة، فقد استغل أمراء قبيلة مغراوة التي حكمت مليانة حالات الضعف التي مر بها الحفصيون ليعلنوا استقلالهم التام بمليانة، مثل ما حدث في عهد القائد أبي العباس الملياني الذي استغل الصراع بين الزيانيين وقبيلة مغراوة ليعلن خلع طاعة الحفصيين أو تغيير مغراوة ولاءهم لصالح الزيانيين أو المرينيين.

تعتبر مدينة تلمسان أهم المدن الزيانية باعتبارها "قاعدة المغرب الأوسط وهي دار مملكة زناتة"²⁰، فسقوطها يعني سقوط الدولة فهي مقر إقامة السلطان الزياني وحاشيته ومقرات حكم دولته، ومع ذلك فقد تعرضت لمحاولات الاحتلال عدة من قبل الجيشين الحفصي والمريني، فقد هاجم الحفصيون تلمسان سنة (640هـ/1242م) أي في وقت مبكر من تأسيس الدولة الزيانية. وفي مستهل فترة حكم أبو عبد الله محمد المستنصر بن زكريا سنة 1249م، كانت جل بلاد المغرب الأوسط تحت الحكم الحفصي حسب ما ورد عن ابن خلدون "كان المغرب الأوسط من تلمسان وأعمالها إلى بجاية في طاعة السلطان منذ تغلب أبوه الأمير أبو زكريا عليه"²¹. إلا أن هذه الحالة لم تدم طويلا، فسرعان ما تدارك الزيانيون الأمر وأصبح كل هذا الفضاء الجغرافي - من تلمسان غربا إلى بجاية شرقا- تابعا للزيانيين في فترات متقطعة.

لخص مبارك الميلي استغلال الحفصيين استقلالهم المبكر للاستحواذ على الفضاء الموحيدي، بقوله: "ولما استقل الحفصيون بتونس ودوا لو يملكون مراكش فيكونوا بين قومهم المصامدة، ولكن دون ذلك زناتة ذات الكثرة والميزة الحربية. فأخذ أبو زكريا الأول يستميلهم بالرغبة والرغبة، وبايعته مغراوة سنة 632هـ/1235م وحاربه توجين. ففتح حصونها، وأسر أميرها عبد القوي بن العباس، فاعتقله بتونس، ثم من عليه استئلافا له. وبهذا الفتح جاور أبو زكريا بني عبد الواد. فضاعف الرشيد خليفة (الموحيدي) إحسانه ليغمراسن وأتحفه بأنواع الهدايا، فخلصت مودته له، وأصبح شجّا في حلق التوسع الحفصي وعقبه كأداء في سبيل الخطة التي رسمها أبو زكريا"²². فمن خلال هذا النص يتبين لنا أن الزيانيين أجهضوا المشروع الحفصي الرامي للاستحواذ على شمال إفريقيا.

4) مواجهة الجيش الزياني لقبائل المغرب الأوسط المتمردة

واجه الجيش الزياني الجيشين الحفصي والمريني من أجل حماية حدود المغرب الأوسط الشرقية والغربية غير المستقرة، فقد دخل في صراع مرير مع بعض زعماء قبائل المغرب الأوسط الموالية للحفصيين والرافضة لضم الزيانيين لدولتها، فقد فضل بعض الزعماء مصالحهم الشخصية عبر الاستفادة من الإغراءات الحفصية.



اختار العديد من زعماء قبائل بلاد المغرب الأوسط التَّبعية للحفصيين بدل الزَّيَّانيين، ولم يكتفوا بذلك فحسب وإنَّما قاموا في العديد من المرات بتحريض الحفصيين ضدَّ الزَّيَّانيين مثل ما وقع في الرَّحْف الحفصي على تلمسان سنة 638هـ/1240م أن دعا زعيم قبيلة بني توجين الشَّيخ عبد القوي وكذا زعيم بني منديل الحفصيين لغزو تلمسان، خاصَّة لما عمد يغمراسن إلى إرسال الهدايا والسَّفراء لحضرة السُّلطان الحفصي الَّذي لم يعجبه هذا التَّصرف ورأى فيه محاولة استقلال الزَّيَّانيين، فقد شارك العديد من زعماء قبائل المغرب الأوسط في الرَّحْف الحفصي على تلمسان الَّذي بلغ المدينة أواخر شهر محرم 640هـ/ جويلية 1242م²³، إلَّا أنَّ بعض قبائل المغرب الأوسط لم تنخرط في التَّحالف مع الحفصيين ضدَّ الزَّيَّانيين، فقبيلة هواره على سبيل المثال عارضت السُّلطان الحفصي سنة 636هـ/1238م²⁴.

ساندت قبائل المغرب الأوسط الحفصيين ولم تتوقف عند هذا الحد، ففي طريق عودة الأمير الحفصي إلى تونس اتفق مع رؤساء قبائل بني توجين وبني منديل ومليكش على حكم المناطق الَّتِي تحت نفوذهم، كلَّ قبيلة على حدى مع تبعيَّتهم للأمير الحفصي، وهكذا استطاع الحفصيون تأسيس إمارات مستقلة في بلاد المغرب الأوسط تتبع الدَّولة الحفصية بدل الزَّيَّانية، وفي نفس الوقت تكون هذه الدَّويلات عبارة عن حصون تحمي ظهر الحفصيين في حال ما إذا قرَّر الجيش الزَّيَّاني شنَّ حملة عسكرية ضدَّ الحفصيين لتُسهل مهمَّة الحفصيين في حال ما إذا قرَّروا شنَّ حملة عسكرية من جهة الغرب.

شكَّلت قبيلة مغراوة تحديا كبيرا للزَّيَّانيين، وازداد خطر هذه القبيلة لما اشتهر قائدهم ثابت بن منديل الَّذي تحالف مع المرينيين، واستولى على أقاليم واسعة من المغرب الأوسط، وانتهج أبناؤه الطَّريقة نفسها من خلال الاستيلاء على مناطق متعددة من المغرب الأوسط كمليانة⁽²⁵⁾. ولم تقتصر معارضة القبائل والمناطق للزَّيَّانيين فحسب، فحتى بعض الرُّعماء خرج عن طاعتهم كعبد الله بن قندوز⁽²⁶⁾.

ومن أشهر الحركات المناوئة ضدَّ الزَّيَّانيين، هي حركة محمد بن يوسف بن يغمراسن الَّذي عارض الأمير أبي حمو خلال فترة محاصرته لبجاية، وزاد خطره لما تزعم قبيلة بني توجين، إلَّا أنَّ الجيش الزَّيَّاني قبض عليه، واستولوا على معسكره⁽²⁷⁾.

5) تقلُّص الحدود الشرقيَّة لبلاد المغرب الأوسط

كانت الإستراتيجية العسكرية للجيش الزَّيَّانيِّ شبه ثابتة على حدودهم الغربية، فقد اكتفوا بصد الهجمات المرينية والدِّفاع عن الحدود، بينما عرفت استراتيجيتهم العسكرية اتِّجاه حدودهم الشرقيَّة فترات الهجوم وفترات الدِّفاع. وهذا ما أثر على الحدود السِّياسية للدَّولة الزَّيَّانية. فقد ظلَّت الحدود الشرقيَّة الزَّيَّانية مضطربة ودائمة التَّغير نظرا للتنافس الزَّيَّاني والحفصي.



سَخَّر الحفصيون حملة عسكرية كبيرة من أجل ضمّ مليانة في حدود سنة 636هـ/ 1238م، فأرسلت جيشا من تونس، وجيشا آخر من بجاية، ويظهر من النصوص التاريخية والأحداث الواقعية أن الحفصيين استنفذوا كلّ أفراد الجيش المتواجد في بجاية إلى درجة أنّ المدينة خلت من جيش الحامية²⁸.

استعد السلطان الحفصي أبو زكريا للتوسع غربا، ففي شهر رجب 638هـ/ 1241م عهد لابنه يحيى بولاية العهد، ونقل والي عنابة إلى ولاية المهديّة وهو أحد أقارب السلطان، اسمه أبو علي عمر بن أبي موسى من أجل قمع حركة الهرغي²⁹.

شنّ الجيش الحفصي حملة عسكرية أخرى أكثر قوة وزخما من الحملة الأولى، فقد زحف السلطان أبو يحيى زكريا شهر شوال من عام 640هـ/ أبريل 1242م من تونس ووصل إلى تلمسان في جيش قُدّر قوامه 64 ألف فارس⁽³⁰⁾. تكون هذا الجيش من عرب إفريقيا وغيرهم من قبائل بلاد المغرب، فصار تعدادهم يضيق الفضاء، فعدد الرّماة فقط تجاوز 30 ألفا، ووصف في موضع آخر الجيش الحفصي كبهار زاخرة⁽³¹⁾، فرض حصارا على تلمسان دام ثمانية أيام، لم يستطع الجيش الزياني الحديث النشأة والتكوين في فكّ الحصار الحفصي فضلا عن مجابهته، ولم يجد الأمير الزياني يغمراسن بُدّا إلاّ الخروج من عاصمته، ونعت ابن عذاري الجيش الحفصي كالطوفان ونبالهم كالسحاب⁽³²⁾. وبهذه الحملة العسكرية صارت جلّ أقاليم بلاد المغرب الأوسط تحت سيطرة الحفصيين.

حيث جاء عن الحموي بأن مليانة كانت في وقته آخر حدود الدّولة الحفصية³³. ولما اجتازها ابن بطوطة الذي خرج من طنجة أين حل بمليانة وكانت وقتئذ تابعة للموحدين (الحفصيين) أين رصد بعض المظاهر الاجتماعية في كلّ من مليانة وبجاية الحفصيتين يومئذ³⁴.

6) استرداد الجيش الزياني لحدودهم الشّرقية في عهد عثمان بن يغمراسن

حاول الأمراء الزيانيون استرجاع ما فقدوه من أراضي أثناء فترة حصارهم، فقد شرع الأمير الزياني أبو السّعيد عثمان بن يغمراسن (683-703هـ/ 1283-1304م) في توسيع حدود إمارته، فتمكن من ضمّ العديد من المناطق الشّرقية، فمنذ مبايعته مطلع شهر ذي الحجة 683هـ/ 1283م، تمكن من إخضاع المدن التّالية: الونشريس، المديّة، مازونة، تنس، وبرشك إلى أن وصل إلى بجاية³⁵. فبسط بذلك نفوذه على مناطق واسعة ممتدة من تلمسان غربا إلى بجاية شرقا.

ومن نماذج الاسترداد الزياني لحدود دولتهم أنّهم استهدفوا بجاية في شهر جمادي الأولى 686هـ/ جوان 1287م، واستطاعوا تحرير مازونة من قبضة المغراويين في شهر رمضان/ أكتوبر من السّنة نفسها، وحاصروا قرية تقرجنت، وفي سنة 687هـ/ 1288م، تمكنوا من ضمّ الونشريس، وفي 26 ربيع الثّاني 688هـ/ 18 ماي



1289م حرّروا تنس من سيطرة مغراوة، والمدينة من سيطرة قبيلة توجين، واضطرَّ الأمير أبو السَّعيد عثمان الرَّجوع إلى تلمسان في 18 شوال 689هـ/ 23 أكتوبر 1290م عندما أطلَّ التَّهديد المريني، وفي طريق عودته اصطدم بمغراوة التي تعاونت مع السَّلاطان المريني، فأخضعها إلى سلطته، وعيَّن ابنه أبا حمو واليا على الشَّلف معقل قبيلة مغراوة. ولم تقف انتصارات الجيش الزَّيَّاني على قبيلة مغراوة فحسب، وإنَّما أخضع قبائل متمردة أخرى، ففي يوم 25 ربيع الثَّاني 690هـ/ 26 أفريل 1291م هُزم زعيم قبيلة بني توجين على يد الجيش الزَّيَّاني وفتحوا عدَّة مناطق كانت خاضعة له، وفي سنة 693هـ/ 1294م حقَّق الزَّيَّانيون انتصارا على المغراويين لما استرجعوا مدينة برشك بعد أن حوصرت أربعين يوما، وانتزعت من سيطرة ثابت بن منديل المغراوي، وبلغت هيبة الجيش الزَّيَّاني إلى درجة أنَّ الأمير الحفصي بعث بهدية إلى الأمير الزَّيَّاني سنة 689هـ/ 1290م⁽³⁶⁾.
غير أنَّ الحصار المريني لعاصمته أخلط عليه أوراقه ورجع مسارعا إلى تلمسان لمواجهة هذا الخطر الدَّاهم، والذي يظهر أنه كان بتواطؤ من السَّلاطان الحفصي، فاستطاعا أن يجعلوا الإمارة الزَّيَّانية بين مطرقة الحفصيين وسندان المرينيين.

7) انكماش حدود الدَّولة الزَّيَّانية بسبب الحصار المريني

ظهر تحولا بارزا في الحدود الزَّيَّانية المرينية أواخر القرن 7هـ/ 13م، أين تعرضت تلمسان للحصار المريني الطَّويل (698-706هـ/ 1298-1307م)، وفي هذه الفترة سقطت كلَّ المدن والمناطق الزَّيَّانية باستثناء تلمسان، وعليه تمكن المرينيون من الاستيلاء على جلَّ مدن وأقاليم بلاد المغرب الأوسط التي أصبحت خاضعة لحكم السَّلاطان المريني أبو يعقوب يوسف النَّاصر (685-706هـ/ 1286-1307م)، ومن ضمن الأعمال التي قام بها السَّلاطان أبو يعقوب والتي دلت على توسيع المرينيين لحدودهم الشرقيَّة وضَمَّهم لعدد هائل من أقاليم بلاد المغرب الأوسط، فقد أرسل إليها الحسن بن علي بن أبي الطَّلَّاق من بني عسكر، وعلي بن محمد الخيري من بني ورتاجن، ومعهما - لضبط الجباية واستخلاص الأموال في العديد من المدن³⁷.
توقفت حركة توسع حدود الدَّولة الزَّيَّانية لما شرع المرينيون في شنِّ سلسلة من الحملات العسكريَّة لاحتلال مدينة تلمسان، فالحملة المرينية الأولى ضدَّ تلمسان كانت سنة 689هـ/ 1290م والثَّانية سنة 695هـ/ 1296م والثَّالثة 696هـ/ 1297م والرَّابعة 697هـ/ 1298م، وأما الحملة الخامسة 698هـ/ 1299م فاعتبرت من بين أخطر تلك الحملات³⁸.

وفي هذا الصَّدَد، يقول النَّاصري: بأنَّ السَّلاطان المريني يوسف لما حاصر تلمسان استغلَّ الوضع الرَّاهن وبسط سيطرته على المدن الثَّالية: "ندرومة، هنين، هران، تالموت، تامزردكت، مستغانم، تنس، شرشال، برشك، البطحاء، مازونة، والنشريس، مليانة، القصبات، والمدينة"³⁹.



استغلّ زعماء بعض قبائل المغرب الأوسط الحملات المرينية ضدّ الزيانيين، ومن هؤلاء، يوجد الزعيم المغراوي ثابت بن منديل الذي عاث في بلاد المغرب الأوسط تخريباً، خاصّة في المدينة ومازونة وبرشك، واضطرّ الأمير عثمان فرض حصار بري ضدّ ثابت والذي استغل الضعف الزياني في مجال البحرية، فركب البحر قاصداً السلطان المريني يوسف بن يعقوب سنة 694هـ/1295م، وألب المرينيين ضدّ الزيانيين⁽⁴⁰⁾، وشجّع المرينيين على فرض الحصار الأكبر.

قال الذهبي عن الحصار المريني: "وفيهما نازل عبد المؤمن تلمسان، وحاصرها مدّة طويلة، فكشف عنها تاشفين بن علي⁽⁴¹⁾". وعلى إثرها بدأ الحصار المريني الأول لتلمسان يوم الثلاثاء 02 شعبان 698هـ/05 ماي 1299م⁽⁴²⁾، أين أحيطت بالعساكر والأسوار من جميع جهاتها⁽⁴³⁾. ففي هذه الفترة فقدّ الزيانيون كلّ مواقعهم، وانحصرت حدود الدولة الزيانية في عاصمة تلمسان فقط.

(8) اتساع حدود الدولة الزيانية بعد نهاية الحصار المريني الأول

استغلّ الجيش الزياني فرصة انتهاء فترة الحصار الزياني الأكبر الذي دامت مدته ثماني سنوات وثلاثة أشهر وخمسة أيام، ففي يوم الخميس 20 ذي الحجة 706هـ/21 جوان 1307م، بدأوا في شنّ حملات عسكرية لاسترجاع الأقاليم الشرقية، فشنّوا هجوماً مباغتاً بقيادة الأمير أبي زيان الأول محمد بن عثمان بن يغمراسن (703-707هـ/1304-1308م) ضدّ القبائل المعادية لهم التي استغلت فرصة الحصار المريني المير لتشق عصا طاعة الزيانيين، فشنّوا غارات خاطفة ضدّ قبيلة مغراوة، وزحفوا نحو الشلف، واستولوا على عدّة مدن، واسترجعوا هيبته، فرجع الأمير ومن معه إلى تلمسان محققين النصر المبين⁽⁴⁴⁾. أبان فيها الجيش الزياني مقدرة وتفوقاً في الهجوم فأخضع القبائل المتمردة لسيطرته كما هدّد حدود الحفصيين.

فكّ الحصار المريني عن تلمسان لما توفي أبو يعقوب، واتفق السلطان الزياني أبو زيان الأول محمد بن عثمان بن يغمراسن مع خليفة السلطان المريني أبا ثابت على استرجاع المناطق التي استحوذ عليها المرينيون إبان حصارهم الأول لتلمسان، وأصبحت بذلك المدن الواقعة من تلمسان غرباً إلى بجاية شرقاً إلى هيمنة الزيانيين مجدداً والذين تمكنوا من تشييد حصن تيمزركت⁽⁴⁵⁾ في سنة 728هـ/1328م⁽⁴⁶⁾.

هذا، ولم تك قبيلة مغراوة وحدها ممن اغتنم فرصة الحصار المريني، وإنّما هذا حذوها العديد من قبائل المغرب الأوسط، كقبائل زناتة⁽⁴⁷⁾، وقبيلة بني توجين والتي أذعنّت مرات عديدة للحفصيين⁽⁴⁸⁾، ثمّ ما لبثت أن خضعت للزيانيين بعد أن استرجعوا هيبته⁽⁴⁹⁾.

شرع الزيانيون في بناء حصن تيمزركت في عهد الأمير أبي تاشفين إذ أمر قائده العسكري موسى بن علي أنّ يبنيه على ضفاف وادي بجاية، ودامت مدة إنجازه أربعين يوماً فقط، ووطّن فيه أكثر من ثلاثة آلاف مقاتل،



وبتشديد هذا الحصن استطاع الجيش الزَّيَّاني بسط سيطرته العسكرية على العديد من المناطق المجاورة لبجاية⁽⁵⁰⁾.

يُعتبر السُّلطان الزَّيَّاني أَبُو تاشفين عبد الرَّحْمَن بن أَبِي حمو مُوسَى بن عُثْمَانَ (718-737هـ / 1318-1337م) من أكثر الأمراء الزَّيَّانيين الرَّاغِبِينَ في حماية وتوسيع حدود الدَّولة الزَّيَّانية، فقد شنَّ العديد من الحملات العسكرية لتوسيع حدود دولته شرقاً، ونجح في استرداد حواضر عديدة كمليانة وقسنطينة وبونة، ولم يكتفِ بذلك فحسب وإنَّما جهز حملة عسكرية سنة 729هـ / 1329م بقيادة يحيى بن موسى الذي استعان بِمُحَمَّد بن أَبِي عَمْرَانَ الحفصي لتوجيه حملة ضدَّ تونس أين دخلا في مواجهة مباشرة مع أَبِي بَكْر بن أَبِي زَكْرِيَّاء الحفصي أين هزم وفتحت تونس، ونُصب مُحَمَّد بن أَبِي عَمْرَانَ الذي كان حليفاً للزَّيَّانيين أين فرَّ السُّلطان أَبُو بَكْر بن أَبِي زَكْرِيَّاء إلى بونة جريحا مطروداً عن الحكم ثمَّ لجأ إلى السُّلطان أَبِي سعيد المريني ليتدخل معه ضدَّ الزَّيَّانيين⁵¹.

واجه الحفصيون صعوبة في مواجهة الزَّيَّانيين الرَّاغِبِينَ في استرجاع حدود دولتهم، ولم يستطيعوا إيقاف طموحاتهم، فاضطرَّ الحفصيون إلى التَّحالف مع المرينيين ضدَّ خصومهم الزَّيَّانيين، وهو ما اضطرَّ إلى تراجع هممة الزَّيَّانيين في التَّوسع شرقاً. ولم يستطع الجيش الحفصي فكَّ الحصار الزَّيَّاني عن بجاية إلا بعد لجوئهم إلى التَّحالف مع المرينيين⁵².

وهكذا، أحرز الجيش الزَّيَّاني العديد من الانتصارات العسكرية ضدَّ الحفصيين من جهة وكذا قبائل المغرب الأوسط التي تحالفت ضدهم من جهة أخرى، وهذا منذ انتهاء الحصار المريني الأول سنة 706هـ / 1307م وإلى غاية الحصار المريني الثَّاني لتلمسان (735-737هـ / 1335-1337م).

وعلى الرَّغم من تقلُّص حدود الدَّولة الزَّيَّانية في مرات كثيرة فإنَّ هجرة سكان المغرب الأوسط الخاضعين للحكم الزَّيَّاني باتجاه الشرق (الحفصيين) لم يكن معتاداً، بل وقع العكس، فقد حدثت هجرة من سكان إفريقية صوب المدن الزَّيَّانية⁽⁵³⁾. باستثناء حالات يسيرة، كسنوات الحصار المريني الطَّويل⁽⁵⁴⁾.

الخاتمة

توصلت الدَّراسة التي بين أيدينا والموسومة بـ " دفاعُ الجيش الزَّيَّاني عن الحدودِ الشرقيَّة لبلاد المغرب الأوسط (636-737هـ / 1238م - 1337م) " إلى أنَّ الجيش الزَّيَّاني تمكن من حماية حدود الدَّولة الزَّيَّانية والدفاع عنها وبذل مجهودات كبيرة ضدَّ التَّهديدات الدَّاخلية والخارجية.



وبالإضافة إلى دور الجيش في الدفاع عن حدود بلاد المغرب الأوسط فإن سياسية التحالفات السياسية والعسكرية حالت دون تحقيق الجيش الزياني بعض أهدافه، ففي بعض الأحيان عجز الجيش الحفصي عن مواجهة نظيره الزياني فالتجأ إلى التحالف مع بني مرين مما عقّد وضعية الجيش الزياني الذي قسّم مجهوده الحربي في الدفاع عن حدوده الغربية والشرقية في آن واحد، مما أتاح للحفصيين فرصة التوسع غرباً على حساب الحدود الشرقية الزيانية.

تحالف الحفصيون مع المرينيين للتوسع عبر حدودهم وتعاونوا أيضاً مع بعض القبائل المناوئة للزيانيين كقبيلة مغراوة بالشّلف ومليانة، فقد استمالها الحفصيون في العديد من المرات وأصبحت بذلك حفصية لا زيانية خاصة في فترات ضعف هذه الإمارة، فأصبحت عادة الأمراء الزيانيون لما يسترجعوا قوتهم العسكرية يُسارعون في شنّ سلسلة من الحملات العسكرية ضدّ قادة أمراء مغراوة لإعادة الحدود الجغرافية الخاضعة لهذه القبيلة.

الهوامش:

¹ قسّم جلّ المؤرخين والجغرافيين بلاد المغرب إلى ثلاثة أقاليم متميزة، وهي: المغرب الأدنى: (أى إفريقية) تونس حالياً، يمتد من برقة شرقاً إلى بجاية غرباً، وكانت قاعدته في صدر الإسلام مدينة «القيروان»، وقد اشتمل هذا الإقليم على عدة مدن، منها: «باجة» و«بونة» و«بنزرت» و«صفاقس» و«قفصة» و«تونس» و«سوسة». المغرب الأوسط: ويمتد من بجاية شرقاً إلى «وادي ملوية غرباً، وقاعدته مدينة «تلمسان»، ويشتمل على عدة مدن منها: «تنس» و«جيجل» و«القلعة» و«المسيلة» و«طبنة» و«مليلة». المغرب الأقصى: ويمتد من «وادي ملوية شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، وقاعدته مدينة «فاس» ثمّ «مراكش»، ويشتمل على عدة مدن منها: «فاس» و«مكناسة» و«سلا» و«درعة». أبو العباس الناصري: كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1415هـ/1955م، ج.1، ص.127.

² تُنسب الدولة الزيانية إلى زيان بن ثابت بن محمد بن ركنار بن تيدوكس بن طاع الله بن علي بن القاسم بن عبد الواد. يحيى بن خلدون: كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة بدير فونطانا الشرقية، الجزائر، 1321هـ/1903م، ج.1، ص.89-93؛ القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي بن محمد (ت.821هـ/1418م): صبح الأعشى، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922، ج.7، ص.412-413.

³ التّنسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل (ت.899هـ/1494م): تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدّروالعقيان في بيان شرف بني زيان، تح. وتع. محمود آغا بوعبيد، موفم للنشر، الجزائر، 2011.

⁴ تعاقب على حكم أجزاء من بلاد المغرب الأوسط الدّويلات التالية: الدّولة الرّستمية (160-296هـ/776-908م)، وقد اتّخذت من مدينة تاهرت كعاصمة لها، امتدت من تلمسان غرباً إلى عنابة شرقاً، واتسعت حدودها الجغرافية إلى طرابلس ومنطقة الجريد، وضمت أجزاء واسعة في الجنوب. ثمّ استولى الفاطميون على الأجزاء الشرقية من بلاد المغرب الأوسط (296-361هـ/909-972م).



إلى أن رحلوا إلى القاهرة سنة 362هـ/972م، فأصبحت الأجزاء الشرقية للجزائر حاليا تابعة للدولة الزَّيرية 362-398هـ/972-1007م، ثم انفصل الحماديون على بني عمومهم الزَّيريين في الفترة الممتدة (398-547هـ/1007-1152م)، ثم ظهرت الدولة الموحدية سنة 515هـ/1121م إلى تمكنوا من الاستيلاء على بجاية عاصمة الحماديين وتصبح الجزائر تحت حكم الموحدين في الفترة الممتدة (547-633هـ/1152-1235م)، ثم انفصل الزَّيَّانيون على الموحدين وتصبح أجزاء مهمة من بلاد المغرب الأوسط تحت حكم الزَّيَّانيين (633-962هـ/1235-1554م).

⁵ للمزيد من الشرح والابضاح حول هذا الموضوع، ارجع إلى مقال مؤلف حسام صلاحي : الجيش الزَّيَّاني ودوره في مواجهة التَّحديات الداخليَّة والخارجية (633-962هـ/1235-1555م)، في مجلَّة الدَّراسات التَّاريخية العسكرية الصَّادرة عن المركز الوطني للدراسات والبحث في التَّاريخ العسكري الجزائري، المجلد 02، العدد 04، الجزائر، ذو القعدة 1441هـ/ جويلية 2020.

⁶ ابن خلدون عبد الرَّحمن بن محمد بن محمد (ت. 808هـ/1406م): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشَّأن الأكبر، تح. خليل شحادة، ط. 2، دار الفكر، بيروت، 1408هـ/1988م، ج. 7، ص. 123.

⁷ مبارك بن محمد الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم: محمد الميلي، المؤسسة الوطنيَّة للكتاب، الجزائر، 1406هـ/1986م، ج. 2، ص. 490-489.

⁸ روبر بارنشفيك : تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى القرن 15، تَرْجَمَة حمادي السَّاحلي، دار الغرب الإسلامي، بَيْرُوت، 1988، ج. 1، ص. 51-53.

⁹ عبد الرَّحمن بن خلدون: المصدر السَّابق، ج. 4، ص. 215.

¹⁰ القلقشندي : المصدر السَّابق، ص. 123.

¹¹ روبر بارنشفيك : المرجع السَّابق، ج. 1، ص. 58.

¹² القلقشندي: المصدر السَّابق، ج. 5، ص. 123؛ روبر بارنشفيك : المرجع السَّابق، ج. 1، ص. 91.

¹³ مبارك بن محمد الميلي: المرجع السَّابق، ج. 2، ص. 282-283.

¹⁴ عبد الرَّحمن بن خلدون : المصدر السَّابق، ج. 6، ص. 400؛ مقديش محمود بن سعيد (ت. 1228 هـ/ 1813 م): نزهة الأنظار في عجائب التَّواريخ والأخبار، تح. علي الزَّواري، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ج. 1، ص. 549.

¹⁵ خليل إبراهيم السَّامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2000م، ص. 272.

¹⁶ القلقشندي : المصدر السَّابق، ج. 5، ص. 123.

¹⁷ روبر بارنشفيك : المرجع السَّابق، ج. 1، ص. 79.

¹⁸ للمزيد من التَّعمق حول هذا الموضوع، ارجع إلى مقال حسام صلاحي: مليانة مسرحا للصراع والتَّنافس العسكري بين الزَّيَّانيين والحفصيين والمرينيين، في كتاب جماعي بعنوان، مليانة عبر العصور، دار بصمة علمية، الجزائر 2023.

¹⁹ الواقع أنه خلال القرن 7هـ/ 13م لم يكن للمرينيين أي سلطة على أي مدينة من مدن المغرب الأوسط، فقد كان الزَّيَّانيون يُوسعون حدودهم الغربية قبل تأسيس الدولة المرينية، فقد عرفت الحدود الزَّيَّانية المرينية استقرارا في بعض الأحيان، فالجيش الزَّيَّاني لم يُهاجم الحدود المرينية إلا في الحالات النَّادرة، وهذا بناءً على الوصية البالغة التي أسدها الأمير الزَّيَّاني أبو موسى بن عثمان لابنه. ومما جاء في: «يا بني ابن أبي مرين بعد استيصال ملكهم واستيلاءهم على الأعمال الغربية وعلى حضرة



الخلافة بمراكش، لا طاقة لنا بلقائهم إذا جمعوا الوفور مددهم. ولا يمكنني أنا القعود عن لقاءهم لمعرة النكوص عن القرن التي أنت بعيد عنها. فإياك واعتماد لقاءهم، وعليك باللياذ بالجدران متى دلفوا إليك، وحاول ما استطعت الاستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين، وممالكهم، يستفحل به ملكك، وتكافئ حشد العدو بحشدك. ولعلك تصير بعض الثغور الشرقية معقلا لذخيرتك". ابن خلدون: المصدر السابق، ج. 7، ص. 123.

²⁰ ابن عذاري أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (ت. نحو 695هـ/1295م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب -، كولان وليفي بروفنسال، ط. 3، دار الثقافة، بيروت، 1403هـ/1983م، ج. 1، ص. 65.

²¹ عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ج. 6، ص. 420.

²² مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ج. 2، ص. 405.

²³ في هذا الخصوص ورد عن المبارك الميلي، قوله: "وفي سنة 639هـ/ وفد على أبي زكرياء عبد القوي التوجيني وبعض بنو مندبل المغراويين، واستحثوه لحرب يغمراسن، فسرحهم امامه لاحتشاد زناتة واحلافهم من زغبة. وجمع هو جموعه عربا وبربرا فبلغت فرسانه أربعة وستون ألفا. وخرج في شوال، فوافته زغبة بزاجر. ووجه من مليانة إلى يغمراسن يطلب بيعته فأبى". مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ج. 2، ص. 405.

²⁴ روبر بارنشفيك: المرجع السابق، ج. 1، ص. 59-60.

⁽²⁵⁾ عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ج. 7، ص. 290-294.

⁽²⁶⁾ برنشفيك: المرجع السابق، ج. 2، ص. 78.

⁽²⁷⁾ عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ج. 6، ص. 478.

²⁸ الغبريني: المصدر السابق، ص. 120؛ محمد محفوظ: تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، ط. 2، بيروت، 1994م، ج. 3، ص. 465.

²⁹ روبر بارنشفيك: المرجع السابق، ج. 1، ص. 59.

⁽³⁰⁾ العمري أبو شهاب الدين أحمد بن فضل الله بن يحيى (ت. 749هـ/1349م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1423هـ/2004م، ج. 1، ص. 548.

⁽³¹⁾ التنسي: المصدر السابق، ص. 117-118.

⁽³²⁾ ابن عذاري: المصدر السابق، ص. 361.

³³ الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرّومي البغدادي (ت. 622هـ/1225م) معجم البلدان، ط. 2، دار صادر، بيروت، 1995، ج. 5، ص. 196.

³⁴ ابن بطوطة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي (ت. 779هـ/1377م): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1417هـ/1997م، ج. 1، ص. 161.

³⁵ التنسي: المصدر السابق، ص. 129.

⁽³⁶⁾ يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج. 1، ص. 118-119؛ وانظر أيضا: التنسي: المصدر السابق، ص. 130.

³⁷ عبد الرحمن بن خلدون: رحلة ابن خلدون، تعليق، محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1425هـ/2004م، ص. 47.



- ³⁸ إسماعيل بن الأحمر : المصدر السابق، ص. 50. عبد العزيز فيلاي : تلمسان في العهد الزَّيَّاني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)، موفم للنشر، الجزائر، 2002، ج. 1، ص. 27.
- ³⁹ النَّاصري : المصدر السابق، ج. 3، ص. 80.
- ⁽⁴⁰⁾ عبد الرَّحْمَن بن خلدون : المصدر السابق، ج. 7، ص. 90.
- ⁴¹ الذَّهبي شمس الدِّين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايمز (ت. 748هـ/ 1347م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح. عمر عبد السلام التَّدْمَرِي، ط. 2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1413هـ/ 1993م، ج. 36، ص. 227.
- ⁴² الفاسي علي بن عبد الله بن أبي زرع (ت. 726هـ/ 1326): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة ووراقة، الرباط، 1972، ص. 367.
- ⁴³ عبد الرَّحْمَن بن خلدون : المصدر السابق، ج. 7، ص. 127.
- ⁽⁴⁴⁾ نفسه، ج. 1، ص. 125-126؛ وعن حصار المرينيين لتلمسان وخروج جل سكانها، منها، ارجع إلى: ابن مريم الشَّريف أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد التَّلْمَساني (ت. 1020هـ/ 1611م) : البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، المطبعة التَّعالبية، الجزائر، 1326هـ/ 1908م، ص. 123-125.
- ⁴⁵ حرص الزَّيَّانيون على تشييد الإقلاع والحصون، وفي هذا الشأن قال ابن خلدون: "وارتاد للبناء عليها ما هو أقرب منه، فاخط بمكان سوق الخميس بوادي بجاية مدينة لتجهيز الكتائب لها على بجاية، وجمع الأيدي على بنائها من الفعلة والعساكر، فتمت لأربعين يوما وسموها تاميزدكت باسم الحصن القديم الَّذِي كان لبني عبد الواد قبل الملك بالجبل قبله وجدة، وأنزل بها عساكر تناهز ثلاثة آلاف، وأوعز السُّلطان إلى جميع عمَّاله ببلاد المغرب الأوسط بنقل الحبوب إليها حيث كانت، والأدم وسائر المرافق حتى الملح، وأخذ الرَّهن من سائر القبائل على الطَّاعة واستوفوا جبايتهم. فنقلت وطأتهم على بجاية واشتدَّ حصارها وغلت أسعارها". ابن خلدون : المصدر السابق، ج. 7، ص. 144.
- ⁴⁶ عبد الرَّحْمَن بن خلدون : المصدر السابق، ج. 6، ص. 492.
- ⁽⁴⁷⁾ برنشفيك : المرجع السابق، ج. 2، ص. 77.
- ⁽⁴⁸⁾ العمري : المصدر السابق، ج. 1، ص. 548.
- ⁽⁴⁹⁾ عبد الرَّحْمَن بن خلدون : المصدر السابق، ج. 6، ص. 190.
- ⁽⁵⁰⁾ التَّنسي : المصدر السابق، ص. 143.
- ⁵¹ عبد الرَّحْمَن بن خلدون : المصدر السابق، ج. 7، ص. 145.
- ⁵² القلقشندي : المصدر السابق، ج. 8، ص. 92.
- ⁽⁵³⁾ برنشفيك : المرجع السابق، ج. 2، ص. 161.
- ⁽⁵⁴⁾ التَّنسي : المصدر السابق، ص. 132؛ ابن مريم : المصدر السابق، ص. 123-125.

